



لقد فعلت الشتاء فعلها بالحديقة، فكانت أكثر الأشجار جرداً، مررت بقربها والهواء البارد يقص المسمار.
كان بجانب سورها بعض الباعة قد افترشوا الأرض ويتحدون الزمهرير، عرضوا بضاعة قليلة لو بيعت فربحها لا يسمن،
ولكن قد يغنى من الجوع.

قطع حديثنا صوت الباعة يصرخون على صاحبنا: أبو أحمد لقد جاؤوا.
أقتربت لابتاع من أحدهم، سأله: ألا تشعر بالبرد؟ رد بصوت مبحوح يظهر مرضًا وتجلدًا: إذا لم أعمل فلن أعود لبنيتي
بطعام، لقد تخرجت من المعهد بمعدل عال، وأنا غير مسنود، حلمي بالوظيفة طار لمن من هو أدنى معدلاً بكثير.

حاول المسكين المريض أن يحمل بضاعته بعيداً، ولكن كانت سيارة البلدية التابعة لدولة الصمود قد اقتحمت المكان، ونزل منها بضعة أشاؤس من أبطال الممانعة، وترافقوا ينهبون بضاعة أبي أحمد، وكأنها غنيمة من الصهاينة محلي الجولان.

توسل أبو أحمد إليهم بصوته الضعيف دون جدوى، فقد كان الضابط ينهره ويشتمه بشتائم لا يجيدها إلا أمثاله القادة أو القوارibeen.

وقف أبو أحمد متزويأً يتفجر أسى وقهراً، كاد يختنق، فأخرج بخاخة للربو تبقيه في حياة ليست بحياة، لقد أهين المسكين ومرغت كرامته بالتراب، ولكن الأصعب عنده خسارته لبضاعته، فكيف سيواجه بناته عندما يتراكمضن نحوه جائعات وهو خالي اليدين.

لقد أُسقطه المرض فريسة لذئاب الممانعة في هذا البرد القارس.

وعرفت أيضاً أن أحدهم قام بالرد على إهانة الضابط في أحد الأيام فتداعوا إليه كما يتداعى الذباب إلى القصعة، فأوسعوه ضرباً وإذلاً، وصبوه كل بذاءة في الدنيا على (الأخونجي، الخائن) ثم أخذوه ولم يعد.

وعرفت أن هذا الضابط اللص الذي يؤجر أرض الوطن، يعمل جده لمنع رخصة العمل النظامية لهؤلاء المساكين ليستأثر بسرقتهم، ولو منحوا الرخصة فبرشوة وشروط من الإذلال أهمها أن تعمل مخبراً وجاسوساً على أبناء الوطن.

ولكن أفعى ما عرفته أن هذا البائع الممسكين ضحية اليوم هو ابن شهيد على ثرى الجولان، وأن الضابط من قرية بائع الجولان الخالد، باني غابة الذل.

بعد يومين مررت من نفس المكان، تعمدت أن أرى أبي أحمد، وجدت الباعة، وكان مكانه خالياً، وعلى السور ورقة نعوة باسم (أبو أحمد).

وتحت النعوة تعليق بخط اليد: استراح وبالأسفل: يلعن روحك يا حافظ.

المصادر: